مواقف بكى فيها الرسول ﷺ

obeikandl.com

obeikandl.com

مواقف بكي فيها الرسول ﷺ

البكاءُ فطرةٌ بشريّةٌ كما ذكر أهل التفسير، فقد قال القرطبي في تفسير قول الله تعالى: ﴿**وأنّه هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى**﴾ [النجم: ٤٣]: «أي: قضى أسباب الضحك والبكاء، وقال عطاء بن أبي مسلم: يعني: أفرح وأحزن؛ لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء»[(١)].

وبما أن البكاء فعل غريزي لا يملك الإنسان دفعه غالباً فإنه مباح بشرط ألا يصاحبه ما يدلُّ على التسخُّط من قضاء الله وقدره، لقول النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ بدمعِ العينِ ولا بحزنِ القلبِ، ولكن يُعَذِّبُ بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحمُ**»[(٢)].

أنواع البكاء وأصدقها:

قال يزيد بن ميسرة رحمه الله: «البكاء من سبعة أشياء: البكاء من الفرح، والبكاء من الحزن، والفزع، والرياء، والوجع، والشكر، وبكاء من خشية الله تعالى، فذلك الذي تُطفِئ الدمعة منها أمثال البحور من النار!».

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه زاد المعاد «عشرة أنواع للبكاء» نوردها كما ذكرها.

* بكاء الخوف والخشية.
* بكاء الرحمة والرقة.
* بكاء المحبة والشوق.
* بكاء الفرح والسرور.

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ١١٦).
(٢) البخاري (١٢٤٢) ومسلم (٩٢٤).

* بكاء الجزع من ورود الألم وعدم احتماله.

* بكاء الحزن.... وفرقه عن بكاء الخوف، أن الأول «الحزن «: يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب وبكاء الخوف: يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك، والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان، ودمعة الحزن: حارة والقلب حزين، ولهذا يقال لما يُفرح به هو «قرة عين «وأقرّ به عينه، ولما يُحزن: هو سخينة العين، وأسخن الله به عينه.

* بكاء الخور والضعف.

* بكاء النفاق وهو: أن تدمع العين والقلب قاس.

* البكاء المستعار والمستأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة فإنها كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: تبيع عبرتها وتبكي شجو غيرها.

* بكاء الموافقة: فهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون يراهم يبكون فيبكي[(١)].

والبكاء من خشية الله تعالى أصدق بكاء تردد في النفوس، وأقوى مترجم عن القلوب الوجلة الخائفة.

البكاء الكاذب

البكاء قد يكون دليلاً على صدق الباكي، وقد لا يكون، وقد ذكر القرآن الكريم قصة إخوة يوسف عليه السلام وكيف تباكوا على أخيهم كذباً فقال تعالى: ﴿**وجاؤوا أباهُمْ عِشَاءً يَبْكونَ**﴾ [يوسف: ١٦]، وعلى هذا فإن بكاء أحد المتخاصمين في القضاء ليس دليلاً يُعتدُّ به.

بكاء الإثم!!

البكاء على موت كافر أو طاغية أو فاسد، بكاء العاشقين، وأهل الغرام بالأغاني.

---

(١) زاد المعاد (١٨٤،١٨٥).

فما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق
فتسخن عينه عند التلاقي ... وتسخن عينه عند الفراق
ويبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق

فضل البكاء من خشية الله

قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۞ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۞ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٥، ٢٨].

وقال النبي ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع»(١).

وقال رسُولُ الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إِمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ الله تعالى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّق بالمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في الله، اجتَمَعا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجَلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ، فَقَالَ: إِنّي أَخافُ الله، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفاها حتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ الله خالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»(٣). وقال النبي ﷺ: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة من دموع خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله»(٤).

---

(١) رواه الترمذي ١٦٣٣.
(٢) رواه البخاري (٦٢٩) ومسلم (١٠٣١).
(٣) رواه الترمذي (١٦٣٩)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي (١٣٣٨)».
(٤) رواه الترمذي (١٦٦٩)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي (١٣٦٣)».

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لأن أدمع من خشية الله أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار!».

وقال كعب الأحبار: لأن أبكى من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إلى من أن أتصدق بوزني ذهباً.

حال الملائكة

عن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل: «**ما لي لا أرى ميكائيل ضاحكاً قط؟**» قال: «**ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار**»(١).

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مررتُ ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحِلس البالي من خشية الله تعالى**»(٢).

بكاء الأنبياء

قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾ [مريم: ٥٨].

بكاء النبي ﷺ

عَن ابن مَسعودٍ ﷺ قالَ: قال لي النبيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ القُرآنَ**، قلتُ: يا رسُولَ الله، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟، قالَ: «**إِني أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**، فقرَأْتُ عليه سورَةَ النِّساء، حتى جِئْتُ إلى هذِهِ الآية: ﴿**فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّة بِشَهيد وجِئْنا بِكَ عَلى هَؤلاءِ شَهِيداً**﴾ [النساء: ٤٠] قال حَسْبُكَ الآن «**فَالْتَفَتَّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عِيْناهُ تَذْرِفانِ**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (١٢٩٣٠)، وقال المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٤٥٢): ... قال الزين العراقي إسناد جيد، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٦٦٤). [تنبيه: هذا الحديث من الأحاديث التي تراجع الشيخ الألباني من تضعيفه إلى تحسينه].

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٦٤) وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٦٤).

(٣) البخاري (٤٧٦٣) ومسلم (٨٠٠).

قال ابن بطال: وإنما بكى ﷺ عند هذا لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف، وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن.

وعَن عبد الله بنِ الشِّخِّير ﷺ قال: أَتَيْتُ رسُولَ الله ﷺ وَهُو يُصلِّي ولجوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ[(١)].

المِرْجل: القِدر الذي يغلي فيه الماء.

عن عبيد بن عمير رحمه الله: «أنه قال لعائشة - رضي الله عنها -: أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ؟

قال: فسكتت ثم قالت: لما كانت ليلة من الليالي.

قال: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي».

قلت: والله إني أحب قُربك، وأحب ما يسرك.

قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي.

قالت: فم يزل يبكي، حتى بل حِجرهُ!

قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي ﷺ حتى بل لحيته!

قالت: ثم بكى حتى بل الأرض! فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «**أفلا أكون عبداً شكورا؟! لقد أنزلت علي الليلة آية، ويل لم قرأها ولم يتفكر فيها! ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** [آل عمران: ١٩٠][(٢)].

---

(١) رواه أحمد (١٥٨٧٧)، والنسائي (١٢١٤) وهذا لفظه، وأبو داود (٩٠٤) بلفظ «كأزير الرحي»، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٤٤).

(٢) رواه ابن حبان (٢/ ٣٨٦) وغيره، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٦٨)، وفي «الصحيحة» (٦٨).

عن أنس رضي الله عنه قال: شهدنا بنت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس على القبر فرأيت عينيه تدمعان، فقال: هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا، قال: فانزل في قبرها، فنزل في قبرها فقبرها[١].

وبكى شفقة على أمته.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقال عيسى عليه السلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فرفع يديه وقال - اللهم أمتي أمتي - وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك[٢].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - أيضاً - قال: انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ فلم يكد يركع ثم ركع فلم يكد يرفع ثم رفع فلم يكد يسجد ثم سجد فلم يكد يرفع ثم رفع فلم يكد يسجد ثم سجد فلم يكد يرفع ثم رفع وفعل في الركعة الأخرى مثل ذلك ثم نفخ في آخر سجوده فقال: أف أف، ثم قال: «**رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم؟ ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون؟ ونحن نستغفرك، فلما صلى ركعتين انجلت الشمس فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا انكسفا فافزعوا إلى ذكر الله تعالى**»[٣].

بكاء الصحابة

عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: «**لو**

---

(١) رواه البخاري (١٢٢٥).
(٢) رواه مسلم (٢٠٢).
(٣) رواه أبو داود (١١٩٤) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (١٠٥٥) لكن بذكر الركوع مرتين كما في الصحيحين.

تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا»، فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين، وفي رواية: بلَغَ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: «**عرضت عليَّ الجنة والنار فلم أر كاليوم من الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً**» فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه غطوا رؤوسهم ولهم خنين»[(١)].

قال ابن حجر: المراد بالعلم هنا: ما يتعلّق بعظمة الله وانتقامه ممّن يعصيه، والأهوال التي تقع عند النزع والموت وفي القبر ويوم القيامة.

وعن أبي سفيان عن أشياخه قال: قدم سعد على سلمان يعوده، قال: فبكى، فقال سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض وترد عليه الحوض وتلقى أصحابك، فقال: ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً قال: «**لتكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب**» وحولي هذه الأساود قال وإنما حوله إجانة وجفنة ومطهرة فقال يا سعد اذكر الله عند همك إذا هممت وعند يديك إذا قسمت وعند حكمك إذا حكمت[(٢)].

وعن هانئ مولى عثمان ﷺ قال: كان عثمان إذا وقف على قبر؛ بكى حتى يبل لحيته! فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟! فقال إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه؛ فما بعده أشد منه!**» قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظراً قط إلاّ القبر أفظع منه!**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٤٣٤٥)، والرواية الثانية لمسلم (٢٣٥٩)، والخنين: هو البكاء مع غنة.

(٢)رواه الحاكم (٤/ ٣٥٣) وقال صحيح الإسناد – قال المنذري : كذا قال.

قوله «وهذه الأساود حولي » قال أبو عبيد: أراد الشخوص من المتاع وكل شخص سواد من إنسان أو متاع أو غيره، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٢٢٤)، وقال معلق تحت هذا الحديث: بلغة بضم الموحدة، ما يتبلغ به من العيش، إجابة: شيء تغسل فيه الثياب، والجفنة: كالقصعة، والمطهرة: إدواة الماء، ذكرها الجوهري بفتح الميم وكسرها ثم قال: والفتح أعلى.

(٣) رواه أحمد (٤٥٦)، والترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي » للألباني (١٨٧٨).

وبكى معاذ ﷺ بكاء شديدًا فقيل له ما يبكيك؟ قال: لأن الله عز وجل قبض قبضتين واحدة في الجنة والأخرى في النار، فأنا لا أدري من أي الفريقين أكون.

وبكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني الله غداً في النار ولا يبالي.

وعن تميم الداري ﷺ أنه قرأ هذه الآية: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [الجاثية: ٢١] فجعل يرددها إلى الصباح ويبكي.

وكان حذيفة ﷺ يبكي بكاءً شديداً، فقيل له: ما بكاؤك؟ فقال: لا أدري على ما أقدم، أعلى رضا أم على سخط؟.

عن سعد عن أبيه قال: أُتي عبد الرحمن بن عوف ﷺ يوما بطعامه فقال: قتل مصعب بن عمير وكان خيراً مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، وقتل حمزة – أو رجل آخر – خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي[(١)].

وقال سعد بن الأخرم: كنت أمشي مع ابن مسعود فمَّر بالحدَّادين و قد أخرجوا حديداً من النار فقام ينظر إلى الحديد المذاب ويبكي. وما هذا البكاء إلا لعلمهم بأن الأمر جد والحساب قادم ولا يغادر صغيره ولا كبيره إلا أحصاها.

وخطب أبو موسى الأشعري ﷺ مرة الناس بالبصرة: فذكر في خطبته النار، فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر! وبكى الناس يومئذ بكاءً شديداً.

وقرأ ابن عمر رضي الله عنهما: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ**﴾ [المطففين:١] فلما بلغ: ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المطففين:٦] بكى حتى خرَّ وامتنع عن قراءة ما بعدها.

عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ**﴾ [الحديد: ١٦] بكى حتى يغلبه البكاء.

وقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلا**

---

(١) رواه البخاري (١٢١٥).

﴿يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

قال ابن مسعود ﷺ: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين[(١)].

وقال مسروق رحمه الله: قرأت على عائشة هذه الآيات: ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] فبكت، وقالت: «ربِّ مُنَّ وقني عذاب السموم».

بكى أبو هريرة ﷺ في مرضه. فقيل له: ما يبكيك؟! فقال: «أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بُعد سفري، وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي!!».

كان عبد الله بن رواحة ﷺ واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته فقال ما يبكيك فقالت رأيتك تبكي فبكيت قال إني ذكرت قول الله عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾ [مريم: ٧١] فلا أدري أأنجو منه أم لا؟

اشتكى سلمان الفارسي فعاده سعد بن أبي وقاص فرآه يبكي فقال له سعد: ما يبكيك يا أخي أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟ أليس؟ أليس؟ قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين ما أبكي ضنّاً للدنيا ولا كراهية للآخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلى عهداً فما أراني إلا قد تعديت! قال: وما عهد إليك؟ قال: عهد إلى أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب ولا أراني إلا قد تعديت، وأما أنت يا سعد فاتق الله عند حكمك إذا حكمت، وعند قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت. قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهما من نفقة كانت عنده[(٢)].

عن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال لأبيٍّ بن كعب إن الله أمرني أن أقرئك القرآن قال أالله سماني لك؟ قال: نعم، قال: وقد ذُكرت عند رب العالمين؟ قال: نعم، فذرفت

---

(١) رواه مسلم (٣٠٢٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٠٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٣١٢)، «وصحيح الترغيب» (٣٢٢٥).

عيناه - وفي رواية: فجعل أبيٌّ يبكي[(١)].

أسباب وطرق تليين القلوب والبكاء من خشية الله:

ويستطيع المسلم أن يليِّن قلبه ويدمع عينه بما يسمع ويقرأ ويرى؛ وذلك - بعد توفيق الله تعالى -بالبحث عن الأسباب الموصلة لذلك، وبقراءة سير السلف الصالح ومعرفة أحوالهم في هذا الأمر، وسنذكر ما تيسر من الأمرين -الأسباب والأحوال - لعلَّ الله أن ينفع بها، ومن ذلك:

١- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله:

فمن عرف الله خافه ورجاه، ومن خافه ورجاه رق قلبه ودمعت عينه، ومن جهل ربه قسى قلبه وقحطت عينه.

ومقامات الإيمان: الحب، والخوف، والرجاء، وكل أولئك تدعو المسلم للبكاء.

قال أبو سليمان الداراني - كما ذكر عنه ابن كثير في ترجمته في «البداية والنهاية» (١٠ / ٢٥٦): لكل شيء علَم وعلَم الخُذلان: ترك البكاء من خشية الله.

فإذا خذل الله العبد: سلبه هذه الخصلة المباركة، وصار شقيّاً قاسي القلب وجامد العين.

فالمحب يبكي شوقاً لمحبوبه والخائف يبكي من فراقه وخشية فراقه والراجي يبكي لحصول مطلوبه فإذا أحببت الله دعاك حبُّه للبكاء شوقاً له، وإذا خفت منه دعاك خوفُه للبكاء من خشيته وعقابه، وإذا رجوته دعاك رجاؤه للبكاء طمعاً في رضوانه وثوابه.

وإلى هذه الأمور الثلاثة - الحب، والخوف، والرجاء - أشار نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٧٧)، ومسلم (٧٩٩).
(٢) رواه البخاري (٦٢٩)، ومسلم (١٠٣١).

ومعنى «ذكر الله» خائفاً أو محبّاً أو راجياً»، فإذا اتصف المسلم بهذا فهو سعيد وإلا فهو مخذول.

٢- قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته:

قال الله تعالى - في وصف عباده العلماء الصالحين -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ۞ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ۞ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٧،١٠٩].

قال الطبري عند الكلام على هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ويخر هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين، من قبل نزول الفرقان، إذا يتلى عليه القرآن لأذقانهم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعا، يعني خضوعا لأمر الله وطاعته استكانة له[(١)].

وقال القرطبي: هذا مدح لهم، وحق لكل من توسم بالعلم، وحصل منه شيئا أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل[(٢)].

«من قبله» أي: من قَبل النبي ﷺ، ويبكون عند سماع ما نزل عليهم.

وقيل: من قَبل القرآن، وهم اليهود والنصارى، وهي بشرى للمتقين منهم أنهم يسلمون، وهو الذي حصل كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

والآيات الأولى - في الإسراء - مكية، ومما نزل في مكة:

قولُه تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ١٨١).
(٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٤١).

وآية «النجم»:

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ۞ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۞ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ ۞ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۞ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۞ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ۞ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٥٦، ٦٢].

وهذا لتربية الصحابة على رقة القلب وصدق الإيمان، وأن الضحك الحق لا يكون إلا في الآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ. وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ. وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ. وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ. فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ. هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٦] وهي سورة مكية.

وهذا هو حال نبينا محمد ﷺ مع القرآن.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ عليَّ القرآن، قال: قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت «**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا**» رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرأيت دموعه تسيل[(١)].

وهذا هو حال أصحاب النبي ﷺ مع القرآن.

عن أبي صالح قال: لما قدم أهل اليمن في زمان أبي بكر فسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال أبو بكر: هكذا كنا ثم قست القلوب!!

وحال أبي بكر تصفه عائشة فتقول:

لما مرض النبي ﷺ مرضه الذي مات فيه أتاه بلال يوذنه بالصلاة فقال: مروا أبا بكر فليصل قلت: إن أبا بكر رجل أسيف - وفي رواية: لا يملك دمعه، وفي روايةٍ: كان أبو

(١) رواه البخاري (٤٣٠٦) ومسلم (٨٠٠).

بكر رجلا بكّاءً؛ لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن – إن يقم مقامك يبكي فلا يقدر على القراءة[(١)] ....

وعن عبد الله بن شداد أنه قال: سمعتُ نشيج عمر وأنا في آخر الصف وهو يقرأ سورة يوسف ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

رواه البخاري معلقاً، انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢ / ٢٠٦).

والنشيج: رفع الصوت بالبكاء.

وعن سالم بن عبد الله أن ابن عمر قرأ ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] – ؛ فدمعت عيناه فبلغ صنيعه ابن عباس فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن، لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله ﷺ حين أنزلت، فنسختها الآية التي بعدها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وعن تميم الداري ﷺ أنه قرأ هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] فجعل يرددها إلى الصباح ويبكي.

وقرأ ابن عمر رضي الله عنهما: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] فلما بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] بكى حتى خرَّ وامتنع عن قراءة ما بعدها.

وقال مسروق رحمه الله: قرأتُ على عائشة هذه الآيات: ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] فبكت، وقالت: «ربِّ مُنَّ وقني عذاب السموم».

وهكذا كان حال من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قرأ رجلُ عند عمر بن عبد العزيز – وهو أمير على المدينة – قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ [الفرقان: ١٣] فبكى حتى غلبه البكاء، وعلا نشيجه! فقام من مجلسه، فدخل بيته، وتفرَّق الناس.

كان محمد بن المنكدر من سادات القراء، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله

---

(١) البخاري (٦٣٣)، ومسلم (٤١٨).

ﷺ، وذُكر عنه أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى، فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله وسألوه، فاستعجم عليهم وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مرت بي آية، قال: ما هي؟ قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧] فبكى أبو حازم معه فاشتد بكاؤهما.

قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت فضيلاً يقول ذات ليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ، ويبكي ويردد هذه الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١] وجعل يقول: ونبلوا أخبارنا، ويردد: ونبلو أخبارنا، إن بلوتَ أخبارنا فضحتَنا، وهتكتَ أستارنا، إن بلوتَ أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا، ويبكي.

وسبق ذِكر جملة من بكائهم - رحمهم الله -.

٣- كثرة ذكر الله عز وجل:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:... - وذكر منهم: - ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه[(١)].

والخلوة مدعاة إلى قسوة القلب، والجرأة على المعصية، فإذا ما جاهد الإنسان نفسه فيها، واستشعر عظمة الله فاضت عيناه، فاستحق أن يكون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

قال ابن القيم:

إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلا قال للحسن: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أذبه بالذكر؛ وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما

(١) رواه البخاري (٦٢٩) ومسلم (١٠٣١).

أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل[١].

٤- الإكثار من الطاعات:

قال أحمد بن سهل - رحمه الله -: «**قال لي أبو معاوية الأسود: يا أبا علي من أكثر لله الصدق نَدِيت عيناه، وأجابته إذا دعاهما**».

٥- تذكر الموت ورؤية المحتضرين والأموات:

عن جابر ﷺ قال: أخذ النبي ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف فانطلق به إلى ابنه إبراهيم فوجده يجود بنفسه فأخذه النبي ﷺ فوضعه في حجره فبكى، فقال له عبد الرحمن: أتبكي؟ أولم تكن نهيت عن البكاء؟ قال: لا، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند مصيبة - خمش وجوه وشق جيوب -، ورنة شيطان[٢].

وثبت عنه ﷺ أنه بكى على ابنه إبراهيم، حينما رآه يجود بنفسه، فجعلت عيناه تذرفان الدموع ثم قال: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[٣].

وعن عبد الله بن عمر قال اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل عليه وجده في غاشية فقال قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله فبكى النبي ﷺ فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا فقال ألا تسمعون؟ **إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم**»[٤].

وعن صفية أن امرأة أتت عائشة تشكو إليها القسوة فقالت: «أكثري ذكر الموت يرق

---

(١) الوابل الصيب (ص ٩٩).

(٢) رواه الترمذي (١٠٠٥)، وقال: هذا حديث حسن، وحسَّنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢١٥٧).

(٣) رواه البخاري (١٢٤١)، ومسلم (٢٣١٥).

(٤) البخاري (١٢٤٢) ومسلم (٩٢٤).

قلبك وتقدرين على حاجتك» قالت: ففعلت، فوجدت أن قلبها رق، فجاءت تشكر لعائشة رضي الله عنها.

يقول أبو الدرداء ﷺ: أضحكني ثلاث و أبكاني ثلاث:

أضحكني: مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك بملء فيه لا يدري أأرضى الله أم أسخطه.

وأبكاني: فراق أحب الأحبة محمَّد ﷺ وصحبه، وهَول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السريرة علانية فلا يدري أإلى الجنة أم إلى النار.

وكان سعيد بن جبير يقول: «لو فارق ذكر الموت قلوبنا ساعة لفسدت قلوبنا».

٦- أكل الحلال:

سئل بعض الصالحين: بم تلين القلوب؟ قال: بأكل الحلال.

٧- الابتعاد عن المعاصي:

قال مكحول رحمه الله: «أرقُّ الناس قلوباً أقلهم ذنوباً».

٨- سماع المواعظ:

وقد انتشر في كثير من البلدان أشرطة لمشايخ ثقات يحسنون التأثير على قلوب الناس، وقد كانت الخطبة المؤثرة والموعظة البليغة مما يوجل قلوب الصحابة ويُذرف دمع عيونهم.

عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيراً وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**»[(١)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٣٥).

٩- تذكر القيامة وقلة الزاد والخوف من الله:

بكى أبو هريرة ﷺ في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «**أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بُعد سفري، وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي**».

روي أنه لما حضرت محمد بن سيرين الوفاة، بكى، فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: أبكي لتفريطي في الأيام الخالية و قلة عملي للجنة العالية و ما ينجيني من النار الحامية.

سئل عطاء السليمي: ما هذا الحزن؟ قال: ويحك، الموت في عنقي، والقبر بيتي، وفي القيامة موقفي، وعلى جسر جهنم طريقي لا أدري ما يُصنَع بي.

وكان فضالة بن صيفي كثير البكاء، فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته ما شأنه؟ قالت: زعم أنه يريد سفراً بعيداً ومالَه زاد.

لما احتضر هشام بن عبد الملك نظر إلى أهله يبكون حوله فقال: جاء هشام إليكم بالدنيا وجئتم له بالبكاء، ترك لكم ما جمَع و تركتم له ما حمل، ما أعظم مصيبة هشام إن لم يرحمه الله.

قال ابن القيم: اعرف قدر ما ضاع، وابك بكاء من يدري مقدار الفائت.

وقال الألبيري - رحمه الله -:

ولا تضحكْ مع السفهاءِ يوماً ... فإنّك سوف تبكي إن ضحكتا!

ومَن لك بالسرور وأنتَ رهنٌ؟ ... وما تدري أتُفْدى؟ أم غُلِلْتا؟!

ولو بكت الدّما عيناك خوفاً! ... لذنبك لم أقل لك قد أمِنْتا!

ومَن لك بالأمان وأنتَ عبدٌ ... أَمِرْتَ فما ائتمرتَ ولا أطَعْتا!

١٠- البكاء عند زيارة القبور:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛**

فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً»[١].

وعن هانئ مولى عثمان ﷺ قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته! فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟! فقال إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه؛ فما بعده أشد منه**» قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظراً قط إلاّ القبر أفظع منه**»[٢].

١١- التفكر عند رؤية ما يُعتبَر كرؤية النار في الدنيا:

عن مغيرة بن سعد بن الأخرم قال: ما خرج عبد الله بن مسعود إلى السوق فمر على الحدادين فرأى ما يخرجون من النار إلا جعلت عيناه تسيلان.

فإن المسلم أعرف أهل الأرض بربه تعالى، فالواجب عليه أن يكون حاله لا كحال الآخرين، فهو يعتبر ويتعظ بما يقرؤه ويسمعه من الآيات والمواعظ، والقلب الخائف يثمر عيناً دامعة رجاء بلوغ رحمة الله تعالى ودخول الجنة، تحقيقاً لوعد الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»[٣].

١٢- الدعاء:

وقد استعاذ النبي ﷺ من القلب الذي لا يخشع، وقد سبق ذِكر اتصال العين بالقلب.

عن زيد بن أرقم قال لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها.**[٤]

---

(١) رووي مسلم في صحيحه (١٣٠٧٥) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (وروي مسلم في صحيحه (٩٧٦) عن أبي هريرة ﷺ عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكي، وأبكي من حوله.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٠٨) وابن ماجه (٤٢٦٧)، والحديث حسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٥٥٠).

(٣) رواه الترمذي (١٦٣٩) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٤) رواه مسلم (٢٧٢٢).

ومن أراد أن تدمع عينه فله أن يدعو الله بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال: صوتاً حسناً، ودمعاً غزيراً، وطعاماً من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى ودموعه جارية دهره، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه[١].

١٣- التباكي:

عن ابن أبي مليكة قال: جلسنا إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الحِجر فقال: ابكوا، فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا، لو تعلموا العلم لصلَّى أحدكم حتى ينكسر ظهره، ولبكى حتى ينقطع صوته[٢].

وعن التباكي قال ابن القيم - بعد ذكره أنواع البكاء -:

وما كان منه مستدعىً متكلفاً فهو التباكي وهو نوعان: **محمود ومذموم.**

فالمحمود: أن يُستجلب لرقة القلب ولخشية الله، لا للرياء والسمعة، **والمذموم:** يُجتلب لأجل الخلق.

وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ للنبي ﷺ وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسرى بدر: أخبرني ما يبكيك يا رسول الله؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما[٣].

ولم ينكر عليه ﷺ، وقد قال بعض السلف: ابكوا من خشية الله فإن لم تبكوا فتباكوا[٤].

١- إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب:

حدثنا أصبغ عن ابن وهب قال: أخبرني عمرو عن سعيد بن الحارث الأنصاري عن

---

(١) مجموع الفتاوي (١١/ ٢٨٢).
(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٢٢)، وصححه الألباني موقوفًا في «صحيح الترغيب» (٣٣٢٨).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٦٢) ضمن حديث مطول في الجهاد.
(٤) زاد المعاد (١/ ١٨٥، ١٨٦).

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن مسعود رضي الله عنهم فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال قد قضى قالوا: لا يا رسول الله فبكى النبي ﷺ فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا فقال: **ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**[(١)].

٢- لقاء النبي ﷺ مع الأنصار:

حدثنا الحسن بن علي المعمري ثنا أيوب بن محمد الوزان ثنا عبد الله بن سليم عن رشدين بن سعد عن يونس بن يزيد وعقيل عن الزهري عن السائب بن يزيد أن رسول الله ﷺ قسم الفيء الذي أفاء الله بحنين من غنائم هوازن فأفشى القسم في أهل مكة من قريش وغيرهم فغضب الأنصار فلما سمع ذلك النبي ﷺ أتاهم في منازلهم ثم قال: من كان ها هنا ليس من الأنصار فليخرج إلى رحلة ثم تشهد رسول الله ﷺ وحمد الله عز وجل ثم قال: يا معشر الأنصار قد بلغني من حديثكم في هذه المغانم التي آثرت بها أناسا أتألفهم على الإسلام لعلهم أن يشهدوا بعد اليوم وقد أدخل الله قلوبهم الإسلام ثم قال:يا معشر الأنصار ألم يمن الله عليكم بالإيمان وخصكم بالكرامة وسماكم بأحسن الأسماء أنصار الله وأنصار رسوله ولولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ولو سلك الناس واديا وسلكتم واديا لسلكت واديكم أفلا ترضون أن يذهب الناس بهذه الغنائم الشاة والنعم والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ فلما سمعت الأنصار قول النبي ﷺ قالوا: رضينا فقال النبي ﷺ: أجيبوني فيما قلت فقالت الأنصار: يا رسول الله وجدتنا في ظلمة فأخرجنا الله بك إلى النور ووجدتنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا الله بك ووجدتنا ضلالا فهدانا الله بك فرضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا فاصنع يا رسول الله ما شئت في أوسع الحل فقال النبي ﷺ أما والله لو أجبتموني بغير هذا القول لقلت صدقتم

---

(١) صحيح البخاري ج ١/ ص ٤٣٩.

لو قلتم ألم تأتنا طريدا فآويناك ومكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وقبلنا ما رد الناس عليك لو قلتم هذا لصدقتم فقالت الأنصار بل الله ولرسوله المن والفضل علينا وعلى غيرنا ثم بكوا فكثر بكاءهم فبكى النبي ﷺ معهم ورضي عنهم فكانوا بالذي قال لهم أشد اغتباطا وأفضل عندهم من كل مال[1].

٣- نصيحة النبي ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنه:

حدثنا أبو الحسن بشر بن أبي بشر البصري أخبرني الوليد بن عبد الواحد الحراني ثنا حيان البصري عن إسحاق بن نوح عن محمد بن علي عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال سمعت النبي ﷺ وأقبل على أسامة بن زيد فقال يا أسامة عليك بطريق الجنة وإياك أن تختلع دونها، فقال يا رسول الله وما أسرع ما يقطع به ذلك الطريق قال الظمأ في الهواجر، وحبس النفس عن لذة النساء يا أسامة وعليك بالصوم فإنه يقرب إلى الله إنه ليس شيء أحب إلى الله من ريح فم الصائم ترك الطعام والشراب لله فإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فإنك تدرك بذلك شرف المنازل في الآخرة وتحل مع النبيين يفرح بقدوم روحك عليهم، ويصلي عليك الجبار وإياك يا أسامة وكل كبد جائعة تخاصمك إلى الله يوم القيامة وإياك يا أسامة ودعاء عباد قد أذابوا اللحوم واحرقوا الجلود بالرياح والسمائم وأظمئوا الأكباد حتى غشيت أبصارهم فإن الله إذا نظر إليهم سر بهم الملائكة بهم تصرف الزلازل والفتن ثم بكى النبي ﷺ حتى اشتد نحيبه وهاب الناس أن يكلموه حتى ظنوا أن أمرا قد حدث بهم من السماء ثم سكت فقال ويح لهذه الأمة ما يلقى منهم من أطاع ربه منهم كيف يقتلونه ويكذبونه من أجل أنهم أطاعوا الله فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله والناس يومئذ على الإسلام قال نعم قال ففيم إذا يقتلون من أطاع الله وأمرهم بطاعته فقال يا عمر ترك القوم الطريق وركبوا الدواب ولبسوا ألين الثياب وخدمتهم أبناء فارس يتزين منهم تزين المرأة لزوجها وتبرج النساء

---

(١) المعجم الكبير ج ٧ / ص ١٥١.

زيهم زي الملوك ودينهم دين كسرى وهرمز يسمنون ما يعود بالجشا واللباس[١].

٤- أمسك يا ابن مسعود:

عن أبي حنيفة عن عبد الأعلى القاص عمن أخبره عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال له رسول الله ﷺ: اقرأ سورة الفرائض فقرأ النساء حتى إذا بلغ ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء:٤١] فقال له بيده: أمسك أمسك قال فبكى النبي ﷺ فأكثر البكاء وأمسك ثم قال: أعد فقرأها من أولها حتى إذا بلغ هذه الآية بكى أيضا وأمسك عبدالله حتى فعل ثلاث مرات[٢].

قوله تعالى ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء:٤١].

٥- الشفاعة بالنبي ﷺ للاستسقاء:

روي أنه ﷺ صلى الجمعة فقام رجل فقال يا رسول الله أجدبت الأرض وهلكت المواشي فاسق لنا الغيث فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء ودعا فما ضم يديه حتى أمطرت السماء فقال رسول الله ﷺ لله در أبي طالب لو كان في الأحياء لقرت عيناه فقال علي ﷺ تعني يا رسول الله قوله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل فقال ﷺ أجل وفي بعض الروايات قام ذلك الأعرابي وأنشد فقال:

أتيناك والعذراء يدمى لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

وقال في آخره:

وليس لنا إلا إليك فرارنا وليس فرار الناس إلا إلى الرسل

فبكى النبي ﷺ حتى أخضلت لحيته الشريفة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ورفع يديه إلى السماء وقال: **اللهم اسقنا غيثا مغيثا عذبا طيبا نافعا غير ضار عاجلا غير**

---

(١) مسند الحارث «زوائد الهيثمي» ج ١/ ص ٤٣٠، ٤٣١.
(٢) كتاب الآثار ج ١ / ص ٤٦.

آجل فما رد رسول الله ﷺ يده إلى صدره حتى مطرت السماء[١].

تعليق:

يقول الله تعالى في سورة الذاريات-آية ٥٠- ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ﴾ [الذاريات:٥٠]، ويقصد الشاعر الفرار للرسل في حال وجودهم أحياء مع أقوامهم وذلك شفاعة إلى الله تعالى للسقيا، ولكن بعد موت الرسل لا ينفع شفاعتهم ولكن الشفاعة تحدث حال كونهم أحياء.

٦- لماذا بكى النبي ﷺ عند قبر أمه؟

حدثنا محمد بن علي المروزي حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه أن استندوا إلى العقبة حتى أرجع إليكم فذهب فنزل على قبر أمه فناجى ربه طويلًا ثم إنه بكى فاشتد بكاؤه وبكى هؤلاء لبكائه وقالوا مابكى نبي الله بهذا المكان إلا وقد أحدث الله في أمته شيئًا لا تطيقه فلما بكى هؤلاء قام فرجع إليهم فقال: ما يبكيكم؟ قالوا يا نبي الله بكينا لبكائك فقلنا لعله أحدث في أمتك شيء لا تطيقه، قال: لا وقد كان بعضه ولكن نزلت على قبر أمي فسألت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة فأبى الله أن يأذن لي فرحمتها وهي أمي فبكيت، ثم جاءني جبريل عليه السلام فقال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه فتبرأ أنت من أمك كما تبرأ إبراهيم من أبيه فرحمتها وهي، أمي ودعوت ربي أن يرفع عن أمتي أربعا فرفع عنهم اثنتين وأبى أن يرفع عنهم اثنتين دعوت ربي أن يرفع عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض وألا يلبسهم شيعا وألا يذيق بعضهم بأس بعض فرفع الله عنهم الرجم من السماء والغرق من الأرض وأبى الله أن يرفع عنهم اثنتين القتل والهرج[٢].

---

(١) بدائع الصنائع ج ١/ ص ٢٨٣.
(٢) تفسير ابن كثير ج٢/ ص ٣٩٤.

٧- فزوروا القبور فإنها تذكر الموت:

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ وأبو الفضل الحسن بن يعقوب قالا ثنا محمد بن عبد الوهاب الفراء أنبأ يعلى بن عبيد ثنا أبو منين يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال استأذنت ربي أن أزور قبرها فأذن لي، واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت[١].

٨- ألقيتها في البئر:

وروي أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ كان لا يزال مغتما بين يدي رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ ما لك تكون محزونا فقال يا رسول الله إني أذنبت ذنبًا في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت فقال له: أخبرني عن ذنبك؟ فقال يا رسول الله إن كنت من الذين يقتلون بناتهم فولدت لي بنت فتشفعت إلى امرأتي أن أتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت وصارت من أجمل النساء فخطبوها فدخلتني الحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلي وأخذت على المواثيق بألا أخونها فذهبت بها إلى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول يا أبت ماذا تريد أن تفعل بي؟ فرحمتها ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية ثم التزمتني وجعلت تقول يا أبت: لا تضيع أمانة أمي فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة وهي تنادي في البئر يا أبت قتلتني فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت فبكى رسول الله ﷺ وأصحابه وقال لو أمرت أن أعاقب أحدا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك[٢].

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ج ٤: ص ٧٠.
(٢) تفسير القرطبي ج ٧/ ص ٩٧.

٩- فلتصبر ولتحتسب:

حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عاصم عن أبي عثمان عن أسامة قال كان ابن لبعض بنات النبي ﷺ يقضي فأرسلت إليه أن يأتيها فأرسل إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل إلى أجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فأرسلت إليه فأقسمت عليه فقام رسول الله ﷺ وقمت معه ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبادة بن الصامت فلما دخلنا ناولوا رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقلقل في صدره حسبته قال كأنها شنة فبكى رسول الله ﷺ فقال سعد بن عبادة أتبكي فقال إنما يرحم الله من عباده الرحماء.

قال ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين.

قال المؤلف - رحمه الله تعالى- فيما نقله عن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة- رضي الله عنهما_، وزيد بن حارثة كان مولي لرسول الله ﷺ، وكان عبداً، فأهدته إليه خديجة- رضي الله عنها- فأعتقه، فصار مولي له، وكان يلقب بحب رسول الله ﷺ؛ أي حبيبه، وابنه أيضاً حب، فأسامة حبه وابن حبه رضي الله عنهما، ذكر أن إحدي بنات الرسول ﷺ أرسلت إليه رسولا، تقول له إن ابنها قد احتضر، أي: حضره الموت. وأنها تطلب من النبي ﷺ أن يحضر، فبلغ الرسول رسول الله ﷺ فقال له النبي ﷺ «**مرها فلتصبر ولتحتسب،فإن لله ما أخذ وله ما أعطي، وكل شيء عنده بأجل مسمي**».

أمر النبي عليه الصلاة والسلام الرجل الذي أرسلته ابنته أن يأمر ابنته- أم هذا الصبي- بهذه الكلمات:

قال: «فلتصبر»أي: تحتسب الأجر على الله بصبرها؛ لأن من الناس من يصبر ولا يحتسب، يصبر على المعصية ولا يتضجر، لكنه ما يؤمل أجرها على الله فيفوته بذلك خير كثير، لكن إذا صبر واحتسب الأجر على الله، يعني: أراد بصبره أن يثيبه الله ويأجره، فهذا هو الاحتساب «مرها فلتصبر» يعني على هذه المصيبة «ولتحتسب» أجرها على الله عز وجل. قوله: «**فإن لله ما أخذ وله ما أعطي**» هذه الجملة عظيمة؛ إذا كان الشيء كله لله، إن أخذ منك شيئاً فهو ملكه، وإن اعطاك شيئاً فهو ملكه، فكيف تسخط إذا أخذ منك ما

يملكه هو؟ عليك إذا أخذ لله منك شيئًا محبوبًا لك؛ أن تقول: هذا لله، له أن يأخذ ما شاء الله، وله أن يعطي ما شاء.

ولهذا يسن للإنسان إذا أصيب بمصيبة أن يقول «**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**» يعني: نحن ملك لله يفعل بنا ما يشاء، وكذلك ما نحبه إذا أخذه من بين أيدينا فهو له- عز وجل- له ما أخذ وله أعطي، حتى الذي يعطيك أنت لا تملكه، هو لله، ولهذا لا يمكن أن تتصرف فيما أعطاك الله إلا على الوجه الذي أذن لك فيه؛ وهذا دليل على أن ملكنا لما يعطينا الله ملك قاصر، ما نتصرف فيه تصرفا مطلقاً، فلو أراد الإنسان أن يتصرف في ماله تصرفاً مطلقا على وجه لم يأذن به الشرع قلنا له أمسك، لا يمكن؛ لأن المال مال الله، فلا تتصرف فيه إلا على الوجه الذي أذن لك فيه.

ولهذا قال: «**ولله ما أخذ وله ما أعطي**» فإذا كان لله ما أخذ، فكيف نجزع؟ كيف نتسخط أن يأخذ المالك ما ملك سبحانه وتعالى؟ هذا خلاف المعقول وخلاف المنقول!

قال: «وكل شيء عنده بأجل مسمي» كل شيء عنده بمقدار، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ [الرعد: ٨] بمقدار في زمانه، ومكانه، وذاته، وصفاته، وكل ما يتعلق به فهو عند الله مقدر.

«بأجل مسمي» أي: معين، فإذا أيقنت بهذا؛ إن لله ما أخذ وله ما أعطي، وكل شيء عنده بأجل مسمي؛ اقتنعت. وهذه الجملة الأخيرة تعني أن الإنسان لا يمكن أن يغير المكتوب المؤجل لا بتقديم ولا بتأخير، كما قال الله ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [ونس:١] أن الشيء مقدراً لا يتقدم ولا يتأخر؛ فلا فائدة من الجزع والتسخط؛ لأنه وإن جزعت أو تسخطت لن تغير شيئاً من المقدور.

ثم إن الرسول أبلغ بنت النبي ﷺ ما أمره أن يبلغه إياها، ولكنها أرسلت إليه تطلب أن يحضر، فقام عليه الصلاة والسلام هو وجماعة من أصحابه، فوصل إليها، فرفع إليه الصبي ونفسه تتقعقع؛ أي تضطرب، تصعد وتنزل، فبكى الرسول عليه الصلاة والسلام ودمعت عيناه. فقال سعد بن عباده وكان معه- هو سيد الحرج- ما هذا؟ ظن أن الرسول

ﷺ بكي جزعاً، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «هذه رحمة» أي بكيتُ رحمة بالصبي لا جزعًا بالمقدور.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» ففي هذا دليل على جواز البكاء رحمة بالمصاب.

إذا رأيت مصاباً في عقله أو بدنه، فبكيت رحمة به، فهذا دليل على أن الله تعالى جعل في قلبك رحمة، وإذا جعل الله في قلب الإنسان رحمة كان من الرحماء الذين رحمهم الله عز وجل.نسأل الله أن يرحمنا وإياكم برحمته.

ففي هذا الحديث دليل على وجوب الصبر؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**مرها فلتصبر ولتحتسب**».

وفيه دليل أيضاً على أن هذه الصيغة من العزاء أفضل صيغة، أفضل من قول بعض الناس: «أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك» هذه صيغة اختارها بعض العلماء، لكن الصيغة التي اختارها الرسول عليه الصلاة والسلام «**اصبر واحتسب، فإن لله ما أخذ وله ما أعطي، وكل شيء عنده بأجل مسمى**» أفضل؛ لأن المصاب إذا سمعها اقتنع أكثر.

والتعزية في الحقيقة ليست تهنئه كما ظنها بعض العوام، يحتفل بها، وتوضع لها الكراسي، وتوقد لها الشموع، ويحضر لها القراء والأطعمة، بل هى تسلية وتقوية للمصاب أن يصبر، ولهذا لو أن أحداً لم يصب بالمصيبة، كما لو مات له ابن عم ولم يهتم به؛ فإنه لا يُعزى، ولهذا قال العلماء رحمهم الله «تسن تعزية المصاب» ولم يقولوا تسن تعزية القريب، لأن القريب ربما لا يصاب بموت قريبه، والبعيد قد يصاب لقوة الصداقة بينهما مثلاً.

فالتعزية للمصاب لا للقريب. أما الآن- مع الأسف- انقلبت الموازين وصارت التعزية للقريب، حتى وإن كان قد فرح وضرب الطبول لموت قريبه فإنه يعزي،ربما يكون بعض الناس فقيراً، وبينه وبين ابن عمه في هذه الحال أو يصاب؟ غالبا يفرح، ويقول: الحمد لله الذي خلصني من مشاكله ةورثني ماله! فهذا لا يعزي، هذا يهنأ لو أردنا أن

نقول شيئاً. والمهم أنه يجب أن نعلم أن التعازي إنما هي لتقوية المصاب على الصبر وتسليته، فيختار لها من الكلمات أفضل ما يكون وأقرب ما يكون للتعزية، ولا أحسن من الكلمات التي صاغها نبينا ﷺ. والله الموفق[١].

١٠- وأنذر عشيرتك الأقربين:

وأخبرنا أبو الوفاء محمود بن أبي القاسم بن عمر يعرف بحكما سبط محمد بن أبي سعد البغدادي في كتابه من أصبهان أن أبا العلاء محمد بن عبد الجبار بن محمد الفرساني أخبرهم سنة خمس وتسعين وأربعمائة أبنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عمر ثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن بن عمر بن بشير الثقفي ثنا الحسن بن سهل ثنا سهل بن بكار ثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس قال لما نزلت **(وأنذر عشيرتك الأقربين)** بكى رسول الله ﷺ ثم جمع أهله فقال: يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، ثم التفت إلى فاطمة فقال: يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار لا أغني عنكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها[٢].

١١- تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب:

حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ أَنَسٌ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا إِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[٣].

(لَقَدْ رَأَيْتُهُ): أَيْ إِبْرَاهِيمُ (يَكِيدُ بِنَفْسِهِ): قَالَ الْعَيْنِيُّ: أَيْ يَسُوقُ بِهَا مِنْ كَادَ الجزء الثامن يَكِيدُ أَيْ قَارَبَ الْمَوْتَ (فَدَمَعَتْ) أَيْ سَالَتْ (فَقَالَ): رَسُولُ اللهِ ﷺ (إِنَّا بِكَ): أَيْ

---

(١) البخاري ١٢٨٤ ومسلم ٩٢٣.

(٢) الأحاديث المختارة ٧/ ص ١١٣، ١١٤.

(٣) البخاري الجنائز (١٢٤١)، مسلم الفضائل (٢٣١٥)، أبو داود الجنائز (٣١٢٦)، أحمد (٣/ ١٨٨).

بِفِرَاقِكَ (لَمَحْزُونُونَ): أَيْ طَبْعًا وَشَرْعًا.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ وَغَيْرُهُ: هَذَا الْحَدِيثُ يُفَسِّرُ الْبُكَاءَ الْمُبَاحَ وَالْحُزْنَ الْجَائِزَ وَهُوَ مَا كَانَ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَرِقَّةِ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ سُخْطٍ لِأَمْرِ اللهِ. قَالَهُ الْحَافِظُ.

١٢- لم أبطأت عنا ثم جئت تحزننا.

عن عبد الرزاق عن بن عيينة عن إسماعيل عن قيس عن بن مسعود قال لما قتل زيد بن حارثة أبطأ أسامة عن النبي ﷺ فلم يأته ثم جاءه بعد ذلك فقام بين يدي النبي ﷺ فدمعت عيناه فبكى رسول الله ﷺ فلما نزفت عبرته قال النبي ﷺ: لم أبطأت عنا ثم جئت تحزننا؟ قال: فلما كان الغد جاءه فلما رآه النبي ﷺ مقبلا قال: إني للاق منك اليوم ما لقيت منك أمس فلما دنا دمعت عينه فبكى رسول الله ﷺ[(١)].

١٣- فبكى رسول الله ﷺ، وبكى جبريل عليه السلام.

حدثنا أبو مسلم قال حدثنا الحكم بن مروان الكوفي قال حدثنا سلام الطويل عن الأجلح بن عبد الله الكندي عن عدي بن عدي الكندي قال:قال عمر بن الخطاب جاء جبريل إلى النبي ﷺ في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل ما لي أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمفاتيح النار فقال رسول الله ﷺ: يا جبريل صف لي النار وانعت لي جهنم، فقال جبريل: إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء ومظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعًا من حره، والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب النار علق بين السماء والأرض لمات من في الأرض جميعًا من حره، والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه ومن نتن

(١) مصنف عبد الرزاق ج ٣/ ص ٥٦٣.

ريحه، والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلقة سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقاربت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى، فقال: رسول الله ﷺ حسبي يا جبريل لا ينصدع قلبي فأموت، قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يبكي فقال تبكي يا جبريل وأنت مَنَّ الله بالمكان الذي أنت به قال وما لي لا أبكي أنا أحق بالبكاء لعلي أن أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها وما أدري لعلي ابتلى بمثل ما ابتلي به إبليس فقد كان من الملائكة، وما يدريني لعلي ابتلى بمثل ما ابتلى به هاروت وماروت قال فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل عليه السلام فما زالا يبكيان حتى نوديا أن يا جبريل ويا محمد إن الله عز وجل قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل عليه السلام وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراؤكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسفتم الطعام والشراب ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل فنودي يا محمد: **لا تقنط عبادي إنما بعثتك ميسرًا ولم أبعثك معسرًا فقال رسول الله ﷺ سددوا وقاربوا**[1].

١٤- ويح كرب وبلاء.

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني عباد بن زياد الأسدي ثنا عمرو بن ثابت عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أم سلمة قالت كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي ﷺ في بيتي فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك فأومأ بيده إلى الحسين فبكى رسول الله ﷺ وضمه إلى صدره ثم قال رسول الله ﷺ: وديعة عندك هذه التربة فشمها رسول الله ﷺ وقال ويح كرب وبلاء،

قالت: وقال رسول الله ﷺ يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دمًا فاعلمي أن ابني قد قتل قال فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول إن يوما تحولين دما ليوم عظيم[2].

---

(١) المعجم الأوسط ج ٣/ ص٨٩، ٩٠، ٩١.
(٢) المعجم الكبير ج ٣/ ص ١٠٨.

١٥- خلق الجنة والنار قبل خلق الخلق.

حدثنا أبو مسلم الكشي ثنا حجاج بن نصير ثنا حسان بن إبراهيم الكرماني عم عطية بن عطية عن عطاء بن أبي رباح عن عمرو بن شعيب قال كنت عند سعيد بن المسيب جالسا فذكروا أن أقوامًا يقولون قدر الله كل شيء ما خلا الأعمال قال فوالله ما رأيت سعيد بن المسيب غضب غضبًا أشد منه حتى هم بالقيام ثم سكن فقال تكلموا به أما والله لقد سمعت فيهم حديثا كفاهم به شرًا ويحهم أو يعلمون فقلت يرحمك الله يا أبا محمد وما هو قال فنظر إلى وقد سكن بعض غضبه فقال حدثني رافع بن خديج أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: يكون قوم من أمتي يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعرون كما كفرت اليهود والنصارى قال قلت جعلت فداك يا رسول الله وكيف ذاك قال يقرون ببعض القدر ويكفرون ببعضه، قال قلت: ثم ما يقولون، قال يقولون الخير من الله والشر من إبليس فيقرون على ذلك كتاب الله ويكفرون بالقرآن بعد الإيمان والمعرفة فما يلقى أمتي منهم من العداوة والبغضاء والجدال أولئك زنادقة هذه الأمة في زمانهم يكون ظلم السلطان فيالهم من ظلم وحيف وأثرة ثم يبعث الله عز وجل طاعونًا فيفني عامتهم ثم يكون الخسف فما أقل ما ينجو منهم المؤمن يومئذ قليل فرحه شديد غمه ثم يكون المسخ فيمسخ الله عز وجل عامة أولئك قردة وخنازير ثم يخرج الدجال على أثر ذلك قريبا ثم بكى رسول الله ﷺ حتى بكينا لبكائه قلنا ما يبكيك؟ قال: رحمة لهم الأشقياء لأن فيهم المتعبد ومنهم المجتهد مع أنهم ليسوا بأول من سبق إلى هذا القول وضاق بحمله ذرعا إن عامة من هلك من بني إسرائيل بالتكذيب بالقدر قلت جعلت فداك يا رسول الله، فقل لي: كيف الإيمان بالقدر؟ قال تؤمن بالله وحده وإنه لا يملك معه أحد ضرًا ولا نفعًا وتؤمن بالجنة والنار وتعلم أن الله عز وجل خالقهما قبل خلق الخلق ثم خلق خلقه فجعلهم من شاء منهم للجنة ومن شاء منهم للنار عدلًا ذلك منه وكل يعمل لما فرغ له وهو صائر إلى ما فرغ منه قلت صدق الله ورسوله[(١)].

---

(١) المعجم الكبير ج ٤/ ص ٢٤٥.

١٦- مصعب بن عمير ﷺ.

قال البراء أول من قدم علينا مصعب بن عمير وبن أم مكتوم وكانا يقرئان القرآن أخرجه المصنف في أوائل الهجرة وذكر بن إسحاق أن النبي ﷺ أرسله مع أهل العقبة الأولى يقرئهم ويعلمهم وكان مصعب وهو بمكة في ثروة ونعمة فلما هاجر صار في قلة فأخرج الترمذي من طريق محمد بن كعب حدثني من سمع عليا يقول بينما نحن في المسجد إذ دخل علينا مصعب بن عمير وما عليه إلا بردة له مرقوعة بفروة فبكى رسول الله ﷺ لما رآه للذي كان فيه من النعم والذي هو فيه اليوم [١].

١٧- أنت ومالك لأبيك.

أخرجه الطبراني في معجمه الصغير والبيهقي في دلائل النبوة عن عبيد بن خلصة ثنا عبد الله بن عمر المدني عن المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إن أبيه يريد أن يأخذ ماله فقال عليه السلام أدعه فما جاء قال له عليه السلام إن ابنك يزعم أنك تأخذ ماله فقال سله هل هو إلا عماته أو قراباته أو ما أنفقه على نفسي وعيالي فقال فهبط جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله إن الشيخ قال في نفسه شعرًا لم تسمعه أذناه فقال له عليه السلام قلت في نفسك شعرا لم تسمعه أذناك فهاته فقال لا يزال يزيدنا الله تعالى بك بصيرة ويقينا ثم أنشد يقول:

غذوتك مولودا ومنتك ... تعل بما أحنى عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم ... لسقمك إلا ساهرا
تخاف الردى نفسي عليك ... لتعلم أن الموت حتم
كأني أنا المطروق دونك ... طرقت به دوني فعينى تهمل
فلما بلغت السن والغاية ... إليها مدى ما فيك كنت
جعلت جزائي غلظة ... كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

---

(١) فتح الباري ج ١١/ ص ٢٧٨، ٢٧٩.

قال فبكى رسول الله ﷺ ثم أخذ بمنكب ابنه وقال له اذهب فأنت ومالك لأبيك[١].

١٨- واليوم أنا ضعيف وهو قوي.

وروي أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ أباه وأنه يأخذ ماله فدعاه فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال إنه كان ضعيفا وأنا قوي وفقيرًا وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئا من مالي واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى رسول الله ﷺ وقال ما من حجر ولا مدر يسمع بهذا إلا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لأبيك[٢].

١٩- سيدة نساء العالمين.

حدثنا أحمد بن محمد بن يزيد الزعفراني ثنا يوسف بن محمد بن صاعد ثنا ليث بن داود القيسي وكان يقال فيه خيرًا أنبأ المبارك ابن فضالة عن الحسن قال: قال عمران بن حصين خرجت يوما فإذا أنا برسول الله ﷺ قائم فقال لي يا عمران: فاطمة مريضة فهل لك أن تعودها؟ قال قلت: فداك أبى وأمي وأي شرف أشرف من هذا فانطلق رسول الله ﷺ فانطلقت معه حتى أتى الباب فقال السلام عليكم أأدخل قالت وعليكم ادخل فقال رسول الله ﷺ أنا ومن معي قالت والذي بعثك بالحق ما على إلا هذه العباءة قال ومع رسول الله ﷺ ملاءة خلقة فرمى بها إليها فقال شدي بها على رأسك ففعلت ثم قالت: ادخل فدخل ودخلت معه فقعد عند رأسها وقعدت قريبًا منه فقال: أي بنية كيف تجدك؟ قالت: والله يا رسول الله إنى لوجعة وإني ليزيدني وجعًا إلى وجعي أن ليس عندي ما آكل قال: فبكى رسول الله ﷺ وبكت وبكيت معها، فقال لها أي بنية اصبري مرتين أو ثلاثة ثم قال لها يا بنية أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين؟

قالت: يا ليتها ماتت فأين مريم بنت عمران قال لها أي بنية تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك والذي بعثني بالحق لقد زوجتك سيدًا في الدنيا وسيدًا في الآخرة

---

(١) نصب الراية ج ٣/ ص ٣٣٨.
(٢) إعانة الطالبين ج ٤/ ص ٢٧٩.

لا يبغضه إلا كل منافق[١].

٢٠- بعير يتكلم.

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتابه دلائل النبوة وهو مجلد كبير حافل كثير الفوائد أخبرني أبو علي الفوارسي حدثنا أبو سعيد عن عبد العزيز بن شهلان القواس حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن خالد الراسبي حدثنا عبد الرحمن بن علي البصري حدثنا سلامة ابن سعيد بن زياد بن أبي هند الرازي حدثني أبي عن أبيه عن جده حدثنا غنيم بن أوس يعني الرازي قال كنا جلوسا مع رسول الله إذ أقبل بعير يعدو حتى وقف على رسول الله فزعا فقال رسول الله: أيها البعير اسكن فإن تك صادقًا فلك صدقك وإن تك كاذبا فعليك كذبك مع أن الله تعالى قد أمن عائذنا ولا يخاف لائذنا، قلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير، قال: هذا بعير هم أهله بنحره فهرب منهم فاستغاث بنبيكم فبينا نحن كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامة رسول الله فقالوا يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة أيام فلم نلقه إلا بين يديك، فقال رسول الله يشكو مر الشكاية فقالوا يا رسول الله ما يقول؟ قال يقول: إنه ربي في إبلكم جوارا وكنتم تحملون عليه في الصيف إلى موضع الكلأ فإذا كان الشتاء رحلتم إلى موضع الدفء فقالوا قد كان ذلك يا رسول الله فقال: ما جزاء العبد الصالح من مواليه قالوا يا رسول الله: فإنا لا نبيعه ولا ننحره، قال: فقد استغاث فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم لأن الله نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها في قلوب المؤمنين فاشتراه النبي بمائة درهم ثم قال: أيها البعير انطلق فأنت حر لوجه الله فرغا على هامة رسول الله فقال رسول الله: آمين، ثم رغا الثانية فقال: آمين، ثم رغا الثالثة فقال: آمين، ثم رغا الرابعة، فبكى رسول الله، فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ قال يقول جزاك الله أيها النبي عن الإسلام والقرآن خيرًا قلت آمين، قال سكن الله رعب أمتك يوم القيامة كما سكنت رعبي قلت آمين، قال حقن الله دماء أمتك من أعدائها كما حقنت دمي قلت آمين، قال لا جعل

(١) جزء فضائل فاطمة ج ١/ ص ٢٤.

الله بأسها بينها فبكيت وقلت هذه خصال سألت ربي فأعطانيها ومنعني واحدة وأخبرني جبريل عن الله أن فناء أمتك بالسيف فجرى القلم بما هو كائن.

قلت هذا الحديث غريب جدا لم أر أحدا من هؤلاء المصنفين في الدلائل أورده سوى هذا المصنف وفيه غرابة ونكارة في إسناده ومتنه أيضا والله أعلم[(١)].

٢١- لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري.

قال ابن إسحاق ولما نادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام لم يردوا عليه كل الرد حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك نادوه واجتمعوا على خلافه ومنعه عمه أبو طالب فمضى إلى أبي طالب رجال من أشرافهم كعتبة وشيبة وأبي جهل فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولا رقيقا وردهم ردًا جميلا فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا فأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها وحض بعضهم بعضًا عليه ثم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا يا أبا طالب: إن لك نسبا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا وسفه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى نكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله ﷺ إليهم ولا خذلانه إلا أنه قال له يا بن أخي إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله ﷺ أن عمه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته فقال: **والله يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته** ثم بكى رسول الله ﷺ وقام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال:

---

(١) البداية والنهاية ج ٦/ ص ١٤٢، ١٤٣.

أقبل يا بن أخي فاقبل فقال اذهب فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا[١].

٢٢- صفوان بن المعطل.

صفوان بن المعطل بن رحضة بن المؤمل بن خزاعي أبو عمرو أسلم قبل غزاة المريسيع وشهدها مع رسول الله ﷺ وكان يومئذ على ساقة الناس من ورائهم واتفق أن عقد عائشة ضاع فأقامت على التماسه فرحل القوم فجاء صفوان فرآها فأناخ بعيره فركبت فلحق بها الجيش فتكلم أهل الإفك فحلف صفوان لئن أنزل الله عذره ليضربن حسان بن ثابت بالسيف فلما نزل العذر ضرب حسان بن ثابت بالسيف على كتفه فأخذه قوم حسان وأتوا به رسول الله ﷺ فدفعه إليهم ليقتصوا منه فلما أدبروا بكى رسول الله ﷺ فقيل لهم هذا رسول الله ﷺ يبكي فترك حسان ذلك لرسول الله ﷺ فقال النبي عليه السلام دعوا حسان فإنه يحب الله ورسوله وأعطى رسول الله ﷺ حسانا شبرين عوضا ثم شهد صفوان الخندق والمشاهد بعدها وكان مع كرز بن جابر في طلب العرنيين الذين أغاروا على لقاح رسول الله ﷺ وتوفي بشمشاط في هذه السنة[٢].

٢٣- الله أرحم بعباده.

روي أن رسول الله ﷺ كان يجتاز في بعض سكك المدينة مع أصحابه فأقسمت عليه امرأة أن يدخلوا منزلها فدخلوا فرأوا نارا مضرمة وأولاد المرأة يلعبون حولها فقالت: يا نبي الله: الله أرحم بعباده أم أنا بأولادي؟ فقال: بل الله أرحم فإنه أرحم الراحمين، فقالت يا رسول الله: أتراني أحب أن القي ولدي في النار؟ قال: لا، قالت فكيف يلقي الله عباده فيها وهو أرحم بهم قال الراوي فبكى رسول الله ﷺ فقال هكذا أوحي إلي[٣].

٢٤- البكاء عند استلام الحجر الأسود.

حدثنا سلمة بن شيب نا يعلي بن عبيد حدثنا محمد بن عون عن نافع عن بن عمر قال

---

(١) المنتظم ج ٢ / ص ٣٦٨.
(٢) المنتظم ج ٥/ ص ٣٣٠.
(٣) التعريفات ج ١ / ص ١٢٤.

استقبل رسول الله ﷺ الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا فالتفت فإذا هو بعمر يبكي فقال: «**يا عمر ها هنا تسكب العبرات**»[١].

٢٥- البكاء والدعاء في السجود في صلاة الكسوف.

أخبرنا أبو طاهر ثنا أبو بكر ثنا يوسف بن موسى ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال انكسفت الشمس يوما على عهد رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ ليصلي فقام حتى لم يكد أن يركع ثم ركع حتى لم يكد يرفع رأسه ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه فجعل ينفخ ويبكي ويقول رب ألم تعدني ألا تعذبهم وأنا فيهم، رب ألم تعدني ألا تعذبهم ونحن نستغفرك، فلما صلى ركعتين انجلت الشمس فقام فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله فإذا انكسفا فافزعوا إلى ذكر الله**» ثم قال لقد عرضت علي الجنة حتى لو شئت تعاطيت قطفا من قطوفها، وعرضت علي النار فجعلت أنفخها فخفت أن يغشاكم فجعلت أقول رب ألم تعدني ألا تعذبهم وأنا فيهم، رب ألم تعدني ألا تعذبهم وهم يستغفرون، قال: فرأيت فيها الحميرية السوداء الطويلة صاحبة الهرة كانت تحبسها فلم تطعمها ولم تسقها ولا تتركها تأكل من خشاش الأرض فرأيتها كلما أدبرت نهشتها وكلما أقبلت نهشتها في النار، ورأيت صاحب السبتيتين أخا بني دعدع يدفع في النار بعصا ذي شعبتين، ورأيت صاحب المحجن في النار الذي كان يسرق الحاج بمحجنه ويقول إني لا أسرق إنما يسرق المحجن فرأيته في النار متكئًا على محجنه[٢].

***

(١) صحيح ابن خزيمة ج ٤:ص ٢١٢.
(٢) صحيح ابن خزيمة ج ٢: ص ٣٢٢.